مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

الإنصاف والاعتراض في النحو - ابن هشام أُنموذجاً

محمد علي أحمد عمر
إبراهيم بلال إبراهيم إدريس
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، قسم اللغة العربية

مستخلص
أتت هذه الدراسة تحت عنوان "الإنصاف والاعتراض لابن هشام" وهدفت إلى توضيح مفهوم الإنصاف والاعتراض لابن هشام الأنصاري وتقديم نماذج لاعتراضاته ومواقفه في الإنصاف والاعتراض. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أنّ ابن هشام يوازن بين آراء البصريين والكوفيين، ويختار ما يتفق مع مقاييسه، ونجده في أغلب اختياراته يقف مع البصريين وفي بعض الأحايين يقف مع الكوفيين ، وهو لا يقف موقفاً إلا مسنوداً بالدليل الواضح والحجة الناصعة، ويوصي الباحث بدراسة الخلاف بين النحاة في ضوء علم اللغة المعاصر.
كلمات مفتاحية : الخلاف النحوي، الإنصاف، الاعتراض .

Abstract
This study entitled objection and consistency of Ibn Hisham Al-Ansari. It further aimed to identify concept of objection and consistency of IbnHisham, and propose some samples of his objection as well as his position towards objection and consistency. The study has utilized descriptive-analytical method. A number of results were found out by the study; some of the most important ones were: IbnHisham virtually compares between Basri and the Kufis' opinions, and selects what compatible with his approaches. It is found that most of IbnHisham opinions agree with the Basri, and at times with the Kufi. In his opinions, he only depends on reliable and glaring evidences. The researcher recommends that it is significant to study disagreement between grammarians considering contemporary linguistics.
Key words: Objection, consistency, grammarians, disagreement

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة؛ لذلك تحدى العجم والعرب ببلاغته وفصاحته، واللغة العربية جاء على لسانها القرآن الكريم، فكان لا بد من علم يصون اللغة من اللحن، لذا انبثق علم النحو صائنا لها، وتناولت في هذه الورقة واحداً من أبرز علماء النحو، وهو ابن هشام الأنصاري، ولعل ظاهرة الخلاف النحوي من أبرز ما تناوله الدرس النحوي على مر العصور، فقد كثر التأليف فيه وأشهر ما وصلنا: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، وكتاب التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين للعكبري، وأول ما بدأ الخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية، ولم يأت خلافهم من فراغ، بل كان مضبوطاً على أسباب كثيرة .

أسباب الخلاف والاعتراض بين النحاة

تضافرت عدة عوامل وهيأت جو الخلاف النحوي بين المدرستين، وقد ناقش المحدثون أسباب هذا الخلاف، وأحسن ما قرأت ما قاله الشيخ محمد الطنطاوي [1] والدكتور السيد رزق الطويل [2] إذ أرجع معظم أسباب الخلاف لعوامل بيئية تتصل بطبيعة المدينتين وتكوينهما السكاني، وعوامل أخرى سياسية .

مشكلة الدراسة: يمكن صياغة المشكلة في طرح الأسئلة التالية:

1/ ما معنى الإنصاف والاعتراض في الدراسات النحوية .
2/ إلى أي مدى كان ابن هشام الانصاري منصفاً في اعتراضاته على النحاة ومواقفه.

[1]-ينظر : الشيخ محمد الطنطاوي نشاة وتاريخ أشهر النحاة ط :2 القاهرة دار المعارف 122 - 141
[2]-ينظر : د: السيد رزق الطويل الخلاف بين النحويين " مكة المكرمة مكتبة الفيصلية 1984 م ، 71-74

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في تناول ظاهرة الاعتراض والإنصاف في النحو وذلك من خلال مذهب عالم عرف بالحنكة واشتهر بالعبقرية؛ مما يعتبر إثراء للدراسات الفكرية التي دارت حول علم النحو وموضوعاته .

التعريف بابن هشام

هو عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام جمال الدين أبو محمد،ولد في ذي القعدة سنه ثمان وسبعمئة، وتوفى ليلة الجمعة خامس ذي القعدة عام 761 هـ 1، ودفن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفية خارج باب النصر من القاهرة، وقد أجمع الذين ترجموا له على انفراده بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع، والاطلاع المفرط والاقتدار على التصريف في الكلام، والمَلَكة التي تمكنه من التعبير عن موضعه، والبر ودماثة الخلق ورقة القلب . وانصرف ابن هشام إلى تلقي العلم في سن مبكرة، فتعلم القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن الكريم، وقصد كبار الشيوخ والعلماء فأخذ عنهم مختلف العلوم والفنون، حتى إذا استوى عوده بدأ يؤلف ويكتب، فذاع صيته وقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب 2. وكانت مصر تعج - في هذه الفترة – بحركة علمية نشطة، حيث آلت إليها الزعامة الفكرية وفتحت صدرها للعلماء والأدباء الذين وجدوا ملاذا آمنا، بعد أن اجتاح التتار بغداد، وفي الوقت الذي كانت فيه الأندلس تحتضر بتفرق أبنائها شيعاً وأحزاباً؛ مما أدى إلى سيادة الفوضى والاضطرابات، وانعدام الأمن والطمأنينة . وكان المماليك قبيل سقوط بغداد استولوا على حكم مصر ورأوا أن يستعيدوا مجد العراق والأندلس في عاصمة ملكهم – القاهرة – فحرصوا على إنشاء المكتبات الكبرى، وألحقوا بكل مدرسة مكتبة فأصبحت هي والمساجد مقصداً لطلاب العلم فنشطت الحركة العلمية وازدهرت حركة التأليف التي شملت شتى أنواع المعارف والعلوم من: أدبية، وتاريخية، ولغوية، ونحوية، وفقهية،حتى أطلق على هذا العصر عصر الموسوعات 3. نهل ابن هشام من هذه الحركة العلمية،وكانت تسعفه ذاكرة حسنة وذكاء نادر، فجمع وأوعى، وما لبث أن خاض غمار الكتابة والتأليف ومارس مهنة التعليم والتدريس، ولمع نجمه في سماء مصر، بل وفي آفاق الشرق والمغرب العربي، فاحتل مكانة سامقة . درّس علوم العربية في مصر فكان جذوة من العطاء، يفد إليه الطلاب زرافات ووحداناً، كما درّس الفقه (وكان شافعي المذهب)، وقرأ كتاب الحاوي الصغير في الفروع، للشيخ نجم الدين ابن عبد الغفار، غير أنه في آخر أيامه تحول إلى المذهب الحنبلي ومارس التدريس على هذا المذهب في المدرسة الحنبلية بالقاهرة. كما درّس علم التفسير بالقبة المنصورية بالقاهرة أيضاً. وقصد مكة المكرمة عام 749 هـ وجاور فيها مدة من الزمن ألَّف خلالها كتابه المغني لكنه فقده خلال عودته إلى مصر،ثم قصد مكة مرة أخرى عام 756 هـ فأعاد تأليف كتابه المغني للمرة الثانية، عاد بعدها إلى القاهرة واستقر فيها إلى أن حانت وفاته.

لقبه وكنيته

اشتهر بلقب جمال الدين الذي ورد في معظم مؤلفاته، وكان يكنى بأبي محمد بن هشام . ودفعا للالتباس رأيت أن أثبت أسماء عدد من المشاهير عرفوا بهذه الكنية وهم حسب أسبقيتهم التاريخية. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري صاحب "السيرة النبوية " ت 218 هـ4، محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي ت 557 هـ على الأرجح 5، محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي " أنصاري خزرجي "ت 646 هـ 6، محب الدين محمد بن عبدالله بن هشام " ولده " 799 هـ7 ، شمس الدين محمد بن عبد الماجد العجيمي " سبطه " ت 822 هـ 8، وأحمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن هشام " حفيده " ت 885 هـ9 .

---

[1]- في بعض المصادر انّ وفاته 762 انظر الكشف 135/2 ، او 763 ، وهدية العارفين 5/ 465 .
[2]-انظر مقدمة شرح اللمحة ، تحقيق هادي نهر ص 34 .
[3]--أنظر نشاة النحو وتاريخ أشهر النحاة 235- 238 .
[4]-البغية 115/2
[5]--البغية 48/1 -49
[6]--البغية 267/1
[7]-البغية 115/2، بغية الوعاة جلال الدين السيوطي ، في طبقات اللغويين والنحاة تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم – صيدا المكتبة العصرية .
[8]-البغية 162/1
[9]--البغية 322/1

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

الثناء عليه ورأي العلماء فيه

1. أشاد به كبار المؤلفين الذين عاصروه أو أتوا بعده وقد وصفه السبكي في طبقاته فقال :" إنه نحوي هذا الوقت " ووصفه ابن تغري بروي بأنه فارس العربية ومالك زمامها فقال :" إنه كان عالماً في عدة علوم لاسيما العربية، فهو فارسها ومالك زمامها 2. وقال عنه ابن حجر :"وأتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ " 3. وقال العلامة ابن خلدون :" مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه " 4. وقال: وقال: "إن ابن هشام على علم جم، يشهد له بعلو قدره في صناعة النحو، وكان ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه . وهو رجل التزم الصبر في أعماله وتعامله مع الحياة العلمية التي عاشها فهو القائل 5"

ومن يصطبر للعلميظفر بنيله * ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لا يذل النفس في طلب العلا * يسيراً ؛ يعش دهرا طويلا أخا ذل

وأطلق عليه الصفدي لقب : "شيخ النحو ".

وفاته

كانت مدة حياة ابن هشام نحواً من ثلاث وخمسين سنة حيث وافته المنية، بعد حياة حافلة مبدعة، وقد اختلف العلماء في تحديد سنة وفاته فذكرت السنوات: (761 هـ ، 763 هـ) .فقد اتفقت أشهر كتب التراجم على أن وفاته كانت سنة " 761 هـ " وبهذا قال ابن حجر في الدرر، والسيوطي في البغية، والمقريزي في السلوك،وابن تغري في النجوم الزاهرة،والعماد الحنبلي في شذرات الذهب والأزهري في التصريح، والشيخ محمد الأمير في حاشيته على المغني والشوكاني في البدر الطالع، وغيرهم وبه أخذ المحدثون . وهذه المصادر السابقة الذكر لم تكتفِ بتحديد سنة الوفاة فحسب، بل حددت اليوم والشهر فقيل: إنه توفى في ليله الجمعة الخامس من ذي القعدة، وقيل في يوم الثلاثاء ثاني ذي القعدة سنة 761 هـ و ودفن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفية خارج باب النصر عن القاهرة . وكان لوفاة ابن هشام صدى واسع في نفوس الناس فقد تأسف عليه الجميع ورثاه الشعراء ومنهم ابن نباته المصري المتوفى 768 هـ بقوله 6:

سقى الله ابن هشام في الثرى نوء رحمة يجر على مثواه ذيل غمام
سأروي له من سيرة المدح مسندا فمازلت أروي سيرة ابن هشام 7

أشهر النحاة الذين عاصروا ابن هشام على سبيل المثال لا الحصر: مسعود بن محمد هـ 66 - 748 هـ ، ابن مكتوم 682 هـ - 749 هـ ، والحسن بن أم قاسم المرادي 749 هـ ، إبراهيم بن لاحين 673 هـ - 749 هـ ، محمد بن احمد بن مكي 719 هـ -760 هـ، ابن عقيل 698 هـ -769 هـ، والسبكي 808 هـ - 770 هـ، أحمد بن على بن عبد الكافي 719 ه - 773 هـ، أحمد بن عثمان النحوي 681 هـ - 774 هـ، و ومحمد بن يوسف ناظر 697 هـ - 778 هـ.

شيوخ ابن هشام

تاج الدين الفاكهاني 654 هـ - 731 هـ الدرر الكامنة ، قرأ عليه ابن هشام شرح الإشارة إلا الورقة الأخيرة: ومنهم : الدين بن جماعة 639 هـ - 773 هـ وأخذ عنه الحديث ، ابن المرحل 744 هـ، تاج الدين التبريزي 667 هـ - 746 هـ ، وفي القراءات شمس الدين بن السراج 670 هـ - 746 هـ.

تلاميذ ابن هشام

---

[1]-البغية 322/1
[2]--النجوم الزاهرة 336/10 ، الدرر الكامنة 308/2
[3]--الدرر الكامنة 209/2
[4]--مقدمة ابن خلدون 250/2
[5]--شرح اللمحة البدرية ج /1 ص 48
[6]-أنظر ديوان ابن نباتة : 465-466 ط 1905
[7]-الدرر الكامنة وابن هشام المذكور في آخر البيت هو الإمام الشهير أبو محمد عبد الملك صاحب السيرة النبوية .

-ابن الملاح الطرابلسي 675 هـ، على بن أبي بكر البالسي 767 هـ ، النويري 722 هـ - 786 هـ ، وابن جماعة 725 هـ -790 هـ ، ابن الفرات 794 هـ، محب الدين بن هشام 750 هـ -799 هـ ، الملقن 727 هـ - 804 هـ ، وابن إسحق الدجوي 751 هـ - 830 هـ .

آثار ابن هشام :

الإعراب عن قواعد الإعراب : صغير الحجم درس فيه ابن هشام الجملة وأحكامها المختلفة ، وبنية الكلمة ، وفسر طائفة من الكلمات التي تكثر الحاجة إليها ، وعرض لبعض المبادئ الأساسية في الإعراب ، يقع الكتاب في أربعة أبواب هي :

الأوّل :في الجملة وأحكامها .

الثاني : في الجار والمجرور .

الثالث: في تفسير كلمات يحتاج إليها المعرب .

ألغاز نحوية (وهو في بعض الأبيات المصعبة المباني) ألفه لخزانة الملك الكامل سنة 746 هـ–747 هـ .

سأترك مهرتي رجل فقير وأركب في الجودان " مهرتان "

الإشكال في موضعين :

أولاً : رفع رجل فقير وحقه أن يكون منصوباً ، وجوابه أنه مرفوع للحكاية .

ثانيا: رفعه: مهرتان وحقه أن يكون منصوبا لأنه مفعول (اركب) وجوابه أنه ليس بتثنية مهرة وإنما هو رجل ثان

- إقامة الدليل على صحة التمثيل وفساد التأويل .
- أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك .
- كثيرا ما يعترض ابن هشام على ابن مالك في شرح الألفية لابن الناظم –يعقب على أقوله ، فتراه يخطئ ابن مالك في بعض المسائل ، ونجده أحيانا يصحح ابن الناظم لكلام والده ، ففي الحديث عن الفاصل بين ان المخففة والجملة الخبرية قال :" إذا كانت الجملة الخبرية اسمية أو فعلية فعلها جامد أو دعاء لم تحتج لفاصل ويجب الفصل في غيرهن بـ(قد) أو حرف تنفيس أو نفي بـ(لا) أو لن أو لم أو لو ، ويندر تركه ، ولم يذكر لو في الفاصل إلا قليل من النحويين ووقول ابن الناظم :" أن الفصل بها قليل وهم على أبيه "
- وكان الناظم قد ذكر في الألفية من الفواصل (لو) ثم قال في ختام كلامه وقليل ذكر لو.

ففهم أنه المراد بالعبارة مجيء لو في الكلام العربي فاصلا قليل وليس هذا الفهم مستقيما إذ أن مجيء لو فاصلا في الكلام العربي كثير غير أن القليل هو ذكر النحاة لـ"لو" من بين الفواصل.

- شرح بانت سعاد قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول (ص)
- شرح السيرة (شرح البردة) البوصيري
- شذور الذهب في معرفة كلام العرب .
- شرح قطر الندى وبل الصدى ، وأبرز ما يلاحظه الباحث في منهج ابن هشام في شرحه للندى الظواهر الآتية :

أولا : التزم ابن هشام عن ذكر مسائل الخلاف .

ثانيا: حاول ابن هشام أن يضم الأبواب المتشابهة بعضها إلي بعض فعقد بابا للنواسخ، وبابا للجوازم ، وآخر للمرفوعات .

ثالثا : بدأ ابن هشام معلما لا مؤلفا .

فوح الشذا في أحكام كذا : كتاب صغير لأبي حيان الأندلسي في احكام كذا واستعمالاتها ، ما يزال مفقودا وقد قام ابن هشام بشرح هذا الكتاب .

قطر الندى وبل الصدى .

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : دأب النحاة المتقدمون على أن يدرسوا الحروف بطريقة جزئية كأن يفردون لحرف معين بابا خاصا، وجاء ابن هشام بالكتاب المتخصص في دراسة الحروف . وتفسير معانيها . وذكر أحكامها الإعرابية فابن هشام قد تخطى في دراسته الحروف كل من سبقوه .

- أبحاث نحوية في مواضع من القرآن .
- تلخيص الانتصاف من تفسير الكشاف .
- تلخيص الشواهد وتلخيص الفوائد .
- الجامع الصغير في النحو .
- حواشي الألفية .
- شرح اللمحة البدرية في علم العربية .
- شوارد الملح وموارد المنح .
- مطالع السرور بين مفرد القطر والشذور .
- موقد الأذهان وموقظ الوسنان .

منهج ابن هشام:

يتوقف في حالات كثيرة لينبه إلي أهمية القضية ودقتها ، داعيا الدارس إلى التدبر والتأمل .

يقول في شرح الجمل :" فافهم تصب " [1] ويقول :في شرح الشذور " فاعرف الفرق " [2] وفي المغني يقول " فافهمه فإنه بديع "[3].

الاعتداد بمكانته العلمية

يبدو ذلك واضحا من مثل قوله :" وقد أتيت في شرح هذا الموضع بما لم أُسبق إليه " [4]. ومثل قوله في المغني بعد أن حذر من أمور يخطئ فيها المعربون وتبين صوابها " قولهم في لو إنها حرف امتناع لامتناع . يغلب على معظم كتبه الطابع التعليمي ، ويظهر ذلك من خلال مؤلفاته ، فقد جاء بعضها متونا موجزة كمختصرات للطلبة ، وحين يلمس غموضا يلجأ إلي شرحها على صورة يسهل فهمها . يتجاوز أحيانا عن شرح ما يراه واضحا ، ويعمد

[1]-شرح الجمل 364
[2]-شرح الشذور 62-206
[3]-المغني 555
[4]-شرح الشذور 206

إلى طريقة الحوار بأن يفترض سائلا يطرح عليه قضية ما ، فينبري له ابن هشام بالإجابة ، ويتوقف أحيانا لإبراز بعض الفوائد اللغوية : يقول في شرح القطر " وجميع أسماء الأنبياء أعجمية إلا أربعة : محمد (ص) . وصالح ، وشعيب ، وهود ، صلوات الله عليهم أجمعين [1].

منهج ابن هشام قام على الأسس التالية :

1-جعل القرآن الكريم المصدر الأول والأساس في بناء القواعد النحوية وتصحيح الأساليب العربية .

2 -الاستناد إلى بعض القراءات لبناء بعض القواعد النحوية ، وتخريج قراءات أخرى على وجوه ترتضيها اللغة .

3-الاستشهاد بالحديث النبوي .

4-الاستشهاد بالشواهد الشعرية .

5-الاستشهاد بالأمثال والأقوال العربية .

6-عدم الالتزام بمدرسة نحوية معينة، فابن هشام رغم جنوحه للمذهب البصري عموما، كان يأخذ برأي الكوفيين أو غيرهم إذا رأي أنّ أدلتهم أقوى من أدلة البصريين .

7-عرض آراء العلماء في المسألة النحوية الواحدة، ثم الإدلاء بدلوه فيها من دون تعسف أو تعصب متبعا مبدأ "لا عصمة لباحث".

8-اتخاذ المنهج التعليمي في عرض الموضوعات وتبويبها وتفصيلها .

الاعتراض في اللغة

لقد ورد لفظ الاعتراض في المعاجم اللغوية بمعان كثيرة، أهمها: المنع، وعدم الاستقامة.

قال الجوهري[2]: واعترض الشيء: صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر ، يقال : اعترض الشيء دون الشيء، أي حال دونه ، واعترض الفرس في رسنه: لم يستقم لفائدة . وقال ابن منظور [3]:وعرض الشيء يعرض واعترض: انتصب ومنع وصار عارضا كالخشبة المنتصبة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها ويقال: اعترض الشيء دون الشيء، أي حال دونه، واعترض الفرس في رسنه وتعرض: لم يستقم لفائدة، قال الطرماح:

وَأَرَاني المَليكُ رُشدي وَقَدكُنـ * ـتُ أُخاعُنجُهِيَّةٍ وَاعتِراضِ[4]

ويبدو أن هذين المعنيين اللغويين – المنع، وعدم الاستقامة – الأقربان إلى المعنىالاصطلاحي.

الاعتراض في الاصطلاح

يختلف مفهوم الاعتراض باختلاف مجالات استعمالاته، فعند النحاة "كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب، ولما سقط بقي الأول على حاله كأن تقول: محمد–والله– قائم، فهي جملة تامة المعنى فلو أزلنا جملة القسم لبقيت الجملة الأولى على حالها، ولم تستخدم لفظة الاعتراض – مصطلحا صرفياعند الصرفيين،غير أنها تستخدم عند

[1]-شرح القطر 363
[2]-الصحاح ، للجوهري :1084/3 (عرض). القاموس المحيط للفيروز أبادي 197/3 ، تاج العروس لأبي الفيض مرتضى الزبيدي 88/10
[3]-لسان العرب لأبن منظور 303-302/4 عرض
[4]-البيت للطرماح بن حكيم بن حكم من طئ شاعر اسلامي فحل (ت125) هـ والبيت له في العين للخليل بن أحمد 63/1 ولسان العرب 303/4 وتاج العروس 416/18 عرض .

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

النحاة والصرفيين والأصوليين وغيرهم في توضيح نص وربط بعضه ببعض مع ترتيب نسقه، وعرضه بعد تقييده، واستقصاء الآراء فيه يقول الرضي [1] ولا يصح أن ندعي أن الوزن الطاري كلمة صارت بالتركيب كجزء كلمة كما ادعينا في الكلم المتقدم، وكما يصح أن ندعي في الحركات الإعرابية، فالاعتراض بهذا الكلم اعتراض وارد . أمّا عن تعريف الاعتراض هنا فيقال إنّه:مقابلة الخصم في كلامه بما يمنعه من تحصيل مقصود بما باينه [2]وقيل: ممانعة الخصم بمساواته فيما يورده [3] ويمكن صوغ تعريف اصطلاحي للاعتراض، فأقول:هو رد الحكم النحوي أو منعه سواء في الأصول أم في الفروع، لعدم استقامته بإقامة حجة أو دليل عقلي أو نقلي . وهذا المفهوم ينطبق على اعتراضات الرضي علي النحاة ومنهم ابن الحاجب. فمن الاعتراضات الواردة بمعنى المنع قول الرضي:"وأجاز الفراء حذف الهمزة دون الألف في النحو: حمراء، والمشهور حذف الزيادتين معا وبعضهم يجوز: يا حمراء بفتح الهمزة قياسا على ذي التاء في نحو قوله: كِليني لهم يا أميمة ناصب، والوجه المنع ولأن اختصاص ذي التاء بذلك لها ذكر من كثرة وقوع الترقيم فعومل غير المرخم منه معاملة المرخم، وكذلك ذو الألف . ومن الاعتراضات الواردة بمعنى :

وكثيرا ما يستخدم لفظ الاعتراض في كلام الشّراح للمتون؛ ذلك لأن الاعتراض من مفهومه ليس التتبع القصري للأخطاء والهنات [4]، وإنما سبيله بيان المعنى وإبراز الحقيقة العلمية على وجه الصواب حتى وإن استدعى ذلك بيان خطأ في كلام المصنف . وتبرز بعض المصطلحات في هذا السياق، وقد تختلف في الاستعمال وذلك نحو الاستدراكات ، والتعقبات ، والمؤاخذات ، إلا أنّها تختلف عن مفهوم الاعتراض الذي يبينه .

فالاستدراكات: هي إضافة أو زيادة الحقيقة العلمية المسبوق إليها، لعدم علم المصنف بها أو أنّها نتاج للبحث العلمي، والاستقراء الجيد . يقول ابن منظور: واستدرك الشيء بالشيء:حاول إدراكه به ومنها مثلا: استدراكات السيرافي على سيبويه ، واستدراكات الزبيدي علي سيبويه .

أمّا التعقبات : فهي تتبع قصري لعثرات السابق العلمية أو أخطائه ، لغرض معلوم أو مجهول .

قال ابن منظور [5]: واستعقبت الرجل وتعقبته إذا طلبت عورته وعثرته ومنها: تعقبات أبي حيان لابن مالك كما هو مشهور، فقد كان أبو حيان ينتقص من ابن مالك ، ويتتبع أخطاءه وهناته .

والمؤاخذات: هي نحو التعقبات والاستدراكات فهي أشمل .

يقول ابن منظور [6]: وأخذه بذنبه مؤاخذه:عاقبه، وفي التنزيل العزيز: "فكلا أخذنا بذنبه" [7]،"ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أو أخطأنا"[8] ومنها مسائل الغلط للمبرد [9] .

---

[1]-شرح الرضي علي الكافية 2/1
[2]-الكافية في الجدل للحويني :67
[3]-المصدر السابق نفسه:67
[4]-الصواب هنات بفتح التاء لا بتشديدها وتأتي على هنوات أي خصلات الشعر .
[5]-لسان العرب 383/4 عقب
[6]-المصدر السابق:46/1 أخذ
[7]-سورة العنكبوت 40
[8]--سورة البقرة الآية 286
[9]--أنظر مقدمة المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق 97/96 ، والخصائص لابن جني 228/1

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

منشؤها وأسبابها :

ينشأ الاعتراض من محاولة المؤلف أو الشارح شرح كلام مصنف ؛ ذلك لأنه يسعى إلى الفهم الحقيقي للنص ، فيظهر له في هذا النص ما هو مختلف لرأيه، أو لآراء جمهور العلماء، أو للنقل الصحيح من سماع أو قياس أو غيرهما، فيعترض على المصنف، ويبين الرأي الذي يراه صحيحا مستجمعا أنسب الردود، وأقوى الحجج واضح الشواهد ولهذه الاعتراضات أسباب أهمها :

1-الاختلاف في النظر إلى أصول القواعد وذلك كتقديم السماع على القياس عند أحد العلماء، وما الخلاف بين البصريين والكوفيين إلا نتاج هذا الاختلاف .

2-التشدد في الأخذ عن قبائل عربية مشهورة بالفصاحة في حين يتساهل آخرون فيعتمدون على اللغات الضعيفة أو الأقل فصاحة .

3-الاختلاف في فهم النص وتفسيره.

4-الميول المذهبية والسياسية .

5-اعتماد بعض المذاهب على شاهد واحد للمسألة.

للوصول إلى نقطة البداية للاعتراض في مؤلفات النحاة والصرفيين، يجب الرجوع لبداية التأليف النحوي والصرفي كان سيبويه تلميذ الخليل أول من ألف كتابا يجمع علماء النحو وما أن ظهر كتاب سيبويه حتى انبرى العلماء إلى تناول الكتاب بالشرح والتحليل والتمحيص، وأقبل عليه المتعلمون ينهلون من علمه ويدرسون مسائله ومع كل هذا الاهتمام في الكتاب إلا أنه قد اعترض بعض الأقدمين على سيبويه منهم ابن الطراوة الذي كان معنيا بكتاب سيبويه عارفا قدره في النحو، ولكن ذلك لم يمنعه من الاعتراض على سيبويه في مواضع متعددة من كتابه ،ومن أبرز ما أُلف من مؤاخذات على الكتاب هو كتاب المبرد "مسائل الغلط" [1]الذي غلط فيه سيبويه في كثير من المواضع من الكتاب، مما أثار حفيظة كثير من العلماء الذين ينظرون لسيبويه بنوع من التقدير والإجلال وكثير من الهيبة والاحترام،ينظرون إليه على أنه بعيد عن الاعتراض فتناولوا كتاب المبرد بالنقد والتفنيد والاعتراض عليه ايضا من ذلك كتاب ابن ولّاد "الانتصار" وكتاب ابن درستويه"النصرة لسيبويه على جماعة النحوية" وأبو سعيد السيرافي [2]في شرحه لكتاب سيبويه وغير ذلك الكثير [3]مما شجع العلماء على تناول العلوم بشيء من التؤدة والرؤية والدراسة والمراجعة وكل ذلك أنتج لنا علما غزيرا جديرا بالبحث العلمي الموضوعي.

أنواع الاعتراضات النحوية

الاعتراضات النحوية كثيرة منها:

1 -في التعريفات .

[1]-لم يصل إلينا هذا الكتاب ولكن ذكر ولّاد هذه المسائل في كتابه الانتصار .
[2]-أبو سعيد السيرافي ، هو الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي عالم بالأدب ، أصله من سيراف من بلاد فارس .
[3]--انظر المؤاخذات النحوية حتى نهاية المئة الرابعة الهجرية : 19- 20 0.

2 –في العبارة والصياغة .

3 –في السماع .

4 – في القياس.

5 –في الشاهد .

6 – في القاعدة النحوية .

7 –في ترتيب المسائل النحوية.

جهود النحاة في الاعتراضات : لقد أسهمت الاعتراضات في نضج الصناعة النحوية، وتماسك قواعدها وأصولها ومن أنواع الاعتراض التي كان للنحاة دور كبير في المشاركة فيها ، ما يلي :

أولاً : المناظرات والمحاورات

المناظرة في الاصطلاح: تردد الكلام بين شخصين بقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق[1] ومن أبرز المناظرات والمحاورات:

1 –المناظرة المشهورة بين سيبويه والكسائي، وهي ما تسمى بالمسالة الزنبورية .

2 –مناظرة بين المازني والفراء حول حذف لام الأمر[2] .

ثانياً :المسائل والأجوبة

وهي مسائل حقيقة قائمة على الاجتهاد والنظر و التمحيص يدرسها أحد النحويين، أو يبدي رأيه فيها، فيدور حولها جدل وحوار، وأسئلة وأجوبة ومن ذلك مثلاً :

أجوبة نزار الحسن بن صافي لملك النحاة، وابن الشجري حول يأيها الرجل 3 .

هل ضمة اللام فيه ضمة وإعراب ؟

وهل الألف واللام فيه للتعريف ؟

وهل يأمل ومأمول وما يتصرف منها جائز ؟

وهل تكون (سوى) بمعنى غير ؟

نماذج لاعتراضات ابن هشام : حد أبو حيان "الكلمة" قول موضوع لمعنى مفرد 4.

فجاء ابن هشام وفصل القول في طريقة الحد، وشرطه ومعناه ثم شرح ألفاظ ابن حيان بالتفصيل، ثم اعترض عليه لما يوهم كلامه في الحد من خطإ وفساد فقال: وليس قوله : "موضوع لمعنى" وحده فصلا، كما قد يتوهم من لا نظر له فهذا خطأ لما ذكرناه آنفا من أن القول لا يكون إلا موضوعا، وأشد من هذا فسادا أن يتوهم أن قوله

[1]-النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم ، حتى نهاية القرن الخامس الهجري 5/1/1
[2]-انظر الخصائص : 496/2
[3]--امالي ابن الشجري
[4]-اللمحة البدرية ، للدكتورة خديجة الحديثي دراسة شاملة عن أبي حيان

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

"موضوع" وحده فصل، لمعنى فصل ثان وتلخص أنه لا فائدة لقوله "موضوع لمعنى" لأن ذلك مستفاد من الجنس، فلو أنه قال :" الكلمة قول مفرد لكان أولى"[1] ، وهنا اعتراض لتصحيح العبارة .

1 –وفي باب إعمال اسم الفاعل،قال أبو حيان :"واسم الفاعل إن كان فيه الألف واللام عمل ماضياً ومستقبلاً وحالاً، نحو جاء الضارب زيدا أمس أو الآن او غدا "[2]

2 –فيتهم ابن هشام هذا التعبير بالعجمة والنقص، فيقول: قوله:"إن كان فيه ال" عبارة فيها عجمة ونقص، أما العجمة فجعله أل في اسم الفاعل، وكان الجيد أن يقال بـ"أل" أو كان مقروناًبـ"أل".

وأمّا النقص فحقه أن يقيد أل بأن تكون موصولة؛ لأنها متي قدرت للتعريف اقتضى القياس أن لا تعمل شيئاً، نص علي ذلك أصحاب الأخفش، وهو الحق لمن تأمل [3].

4–وفي باب حروف الجر، ذكر أبو حيان خمسةً وعشرين حرفاً للجر، وجعل الهمزة، ومن، بضم الميم وكسرها وفتحها. فاعترض عليه ابن هشام قائلا: اشتملت هذه الأسطر اليسيرة من هذه اللمحة الصغيرة على نقود كثيرة، منها أنّه أودع هذه المقدمة –على صغرها – حروفا غير مشهورة، ثم أنّه خلطها بالمشهورة فأوهم ذلك كثرتها، وعبر عن ذلك عن بعضها بعبارة موهمة .

تعريف الإنصاف

الانصاف مصدر أنصف ينصف.والإنصاف في اللغة، شطر الشي. أمّا في الاصطلاح فالإنصاف أن تعطي غيرك من الحق من نفسك مثل الذي تحب أن تأخذه منه لو كنت مكانه، ويكون ذلك بالأقوال والأفعال، في الرضا والغضب، مع من تحب ومع من تكره، وهو لا يكون إلا بين اثنين، أو أمرين، أو ذي طرفين، ولك أروع تعبير عنه ما رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه [4] " . وهو معنى قول سيدنا علي رضي الله عنه من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه [5]. وقول سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:من أحب أن ينصف الناس من نفسه فليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه [6]. قال أبو نعيم في حلية الأولياء عن جابر: قال:قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لرجل من ثقيف: "ما المروءة فيكم" قال:الإنصاف والإصلاح، قال: كذلك فينا"7 غريب من حديث محمد وسفيان لم لم نكتبه إلا من حديث محمد بن عالم .

نموذج من الإنصاف

حذف همزة الاستفهام :

[1]-شرح اللمحة البدرية في علم العربية لأبن هشام الانصاري المصري ، دراسة وتحقيق الدكتور هادي نهر
[2]-شرح اللمحة البدرية في علم العربية ج /2 ص 58
[3]-شرح اللمحة البدرية 359/2
45-رواه البخاري ومسلم وخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة عن انس ، ولفظ مسلم حتى يحب جاره أو أخيه
[5]-كنز العمال ج9 ص335 + تاريخ الخلفاء ج / ص 64
[6]-شعب الإيمان ج 7ص 503
[7]-حلية الأولياء لأبي نعيم

مَجلَّةُ جامعة بخْت الرضا العلمية، محكمة تصدر ربع سنوية العدد الرابع والعشرون يونيو 2018
[UBJSR: ISSN :(Online) 1858-6139]
http://mag.uofb.edu.sd

قال ابن هشام:"والألف أصل أدوات الاستفهام، ولهذا خصت بأحكام أحدها:جواز حذفها، سواء تقدمت على "أم" أم لم تتقدم كقول الكميت 1: أراد: أو ذو الشيب يلعب 2 .

طَرِبتُ وماشَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ * ولاَلَعِباً مني وذُو الشَّيب يَلعَبُ

اعترض عليه الدماميني بقوله:"ولقائل أن يقول لا يتعين هذا شاهدا على حذف الهمزة لجواز أن يكون مما حذف فيه حرف النفي للقرينة، أي: وذو الشيب لا يلعب 3.

أجاب الشمني:"إن المصنف لم يستشهد بهذا البيت على حذف الهمزة و إنما مثّل به له والمثال لا يقتضي ذلك، والفرق بينهما: أن المثال جزئي ذكر لإثباتها4 .

تحرير الخلاف

المحذوف في البيت الهمزة أم (لا).

اختلف النحويون في حكم حذف همزة الاستفهام، وجاء على النحو الاتي : ذهب سيبويه [5]والمبرد [6] وبعض النحويين إلى أنّه يجوز حذف همزة الاستفهام في ضرورة الشعر إذا تقدمت على "أم" وكان في اللفظ ما يدل عليها، ونسب هذا القول إلى البصريين [7]. وذهب الفراء [8] والأخفش وابن جني [9]وكثير من النحويين إلى جواز حذف همزة همزة الاستفهام في الاختيار ، وذكروا أن تقديم همزة الاستفهام مما يجري فيه القياس [10]. ويرى جماعة منهم ابن النحاس[11] والزمخشري[12] أنّ حذف همزة الاستفهام مطرد إذا ما كان بعدها "أم" المتصلة؛ لكثرته نظماً ونثراً [13].

واختار هذا الرأي ابن مالك [14] وقال: "وقد كثر حذف الهمزة إذا كان معنى ما حذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها" .

واستدل القائلون بجواز حذف همزة الاستفهام في الاختيار بعدة شواهد منها : قوله تعالى:"وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل" [15]، والشاهد حذف همزة الاستفهام ، قال الأخفش فقيل المعنى: أوَ تلك نعمة تمنها، وحذفت همزة الاستفهام . وقول النبي صلى الله عليه وسلم:"أتاني آت من ربي فبشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق" [16] ، أراد: أوَ إن زنى وإن سرق ؟ . وقد اعترض هذا المذهب باعتراضين :

---

[1]-الكميت بن زيد الاسدي ، ابو المستهل ، شاعر الهاشميين ، توفى سنة 126هـ ، انظر الاغاني 15/ 108
[2]-المغني 14/1
[3]--تحفة الغريب 6 ب ، وانظر المنصف 26/1
[4]- المنصف 26/1
[5]--الكتاب 174/3
[6]--المقتضب 294/3
[7]-ضرائر الشعر لابن القزاز 221
[8]-معاني القرآن 279/2 ، إعراب القرآن للنحاس 177-176/3
[9]--انظر الخصائص 281/2 ، المحتسب 50/1 -51
[10]--شرح ابيات المغني 30/1
[11]- إعراب القرآن 176/3 ، وظاهر كلامه انه يجيز حذف همزة الاستفهام إذا كان بعدها أم في الشعر . وانظر شرح أبيات مغني أبيات المغني 26/1 .
[12]-المفصل 320 ، الكشاف 153/1 -154 و 142/3 و شرح المفصل 154/8
[13]-الجنى الداني35
[14]-شرح التسهيل 361/3 و شواهد التوضيح 87
[15]-الشعراء : 22
[16]-أخرجه البخاري في كتاب الجنائز رقم 23 ، شواهد التوضيح 89

1 –أن ألف الاستفهام تحدث معنى وحذفها محال، إلا أن يكون في الكلام "أم" فيجوز حذفها في الشعر [1].

2 –أن همزة الاستفهام نائبة عن "استفهم" فلو حذفت لكان ذلك اختصارا،واختصار المختصر إجحاف به [2].

من خلال عرض الأقوال يترجح مذهب القائلين بجواز حذف همزة الاستفهام للآتي:

- ورود النصوص والشواهد النثرية والشعرية التي تثبت أن حذف همزة الاستفهام جائز ومستساغ إذا دل على الحذف دليل أو قرينة .
- القول بحذف همزة الاستفهام في مثل هذه الشواهد أولى من التأويل، والتأويل لا يعول عليه عند كثرة الشواهد
- قولهم:"عن ألف الاستفهام تحدث معنى وحذفها محال" مردود بأنّ المعنى الذي جاءت من أجله ألف الاستفهام لا ينتقص بحذفها و لقوة الدلالة عليهما في سياق الكلام فكأنها لم تحذف .
- قولهم:"أن حذفها من اختصار المختصر فيه إجحاف" مردود بأن للاستفهام دلالة قوية في الكلام وهذه الدلالة تعين على المحذوف .

ويترجح أن يكون المحذوف في قول الشاعر :

طَرِبتُ وماشَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ * ولاَلَعِبَاً مني وذُو الشَّيبِ يَلعَبُ

كما يرى ابن هشام لما يأتي:

1/ كثرة حذفها في كلامهم عند دلالة السياق ومصاحبة القرينة المرشدة .

2/ دلالة الاستفهام في البيت أقوى من الخبرية المتوهمة ومن هنا فإنّ ابن هشام لا يلزمه اعتراض الدماميني

أيضا من نماذج إنصاف ابن هشام لإمام النحاة سيبويه : قول ابن هشام في المسالة الزنبورية، قال: قالت العرب:"قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، وقالوا: فإذا هو إياها، وهذا هو الوجه الذي أنكره سيبويه البصري لما سأله الكسائي إذ قال: فإذا هو هي ولا يجوز النصب، وسأله عن أمثال ذلك نحو: خرجت فإذا عبدالله القائم بالرفع، أو القائم بالنصب،فقال له: كل ذلك بالرفع إلى أن قال: وأما سؤال الكسائي فجوابه ما قاله سيبويه، وهو فإذا هو هي، هذا وجه الكلام، ويؤيد ذلك القرآن الكريم **{فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء }**[3]وقوله تعالى : **{ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى}**[4]. وأمّا فإذا هو إياها إن ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء كالجزم بلن والنصب بلم والجر بلعل، وهذه سخرية وتعريض، وسيبويه وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك وإن تكلم بعض العرب به 5 .

النتائج

أهم النتائج إن الكتب التي تناولت مسائل الاعتراض والإنصاف قليلة، ولم يصلنا منها إلا كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، وكتاب التبيين في الخلاف بين البصريين للعكبري

[1]-إعراب القرآن للنحاس 176/3 ، البحر المحيط 148/8 .
[2]-المحتسب 51/1 ، سر صناعة الإعراب 635/2 -636، الخصائص 273/2
[3]-سورة الشعراء الآية 33
[4]-سورة طه الآية 20
[5]-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 1:35

التوصيات

1/ يجب على الباحثين دراسة المسائل الخلافية بين النحاة والغوص في أعماقها وترجيح ما يرونه راجحا بالأدلة والبراهين وإنصاف النحاة السابقين الذين تعرضوا للظلم من أقرانهم .

2/ الاعتراض والإنصاف من الوسائل التي تدافع عن اللغة وحراستها من أعدائها الذين يتربصون بها .

المصادر والمراجع

1/ ارتشاف الضرب من لسان العرب تحقيق د رجب عثمان ط 1 ، مكتبة القاهرة 1998 م ، لأبي حيان الاندلسي .

2/ إعراب القرآن للنحاس .

3/ امالي ابن الشجري

4/ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين تأليف الشيخ الأمام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي 513 هـ – 577 هـ .

5/ البحر المحيط ، لابي حيان النحوي ط 1 و دار النهضة بغداد 1961 م

6/ بغية الوعاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في طبقات اللغويين والنحاة ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم صيدا المكتبة العصرية

7/ تاج العروس لأبي الفيض مرتضى الزبيدي .

8/ الخصائص لابن جني

9/ الدرر الكامنة

10/ السيد رزق الطويل الخلاف بن النحويين مكة المكرمة مكتبة الفيصلية 1984 م .

11/ شرح أبيات المغني .

12/ شرح الجمل للزجاجي

13/ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب .

14/ شرح قطر الندى وبل الصدى

15/ الشيخ محمد الطنطاوي ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ط: 2 القاهرة دار المعارف .

16/ الصحاح للجوهري

17/ القاموس المحيط للفيروز أبادي

18/ لسان العرب لابن منظور لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري .الطبعة الأولى 1410 هـ – 1990 م .

19/ معاني القرآن للفراء .

20/ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب

21/ مقدمة ابن خلدون

22/ مقدمة المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق

23/ مقدمة شرح اللمحة البدرية في علم العربية ، تحقيق هادئ نهر .

24/ النجوم الزاهرة

25/ النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم ، حتى نهاية القرن الخامس الهجري

26/ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة .